الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

- **المقياس:**

" **مدخل إلى الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية** ".

- **نوع الحصة:** تطبيـق .
- **إعداد الأستاذ:** بوعمامة وحيد .

- الدرس الثامن بعنوان:

رواية " التلميذ والدرس " لمالك حداد:

(l'élève et la leçon)

- **المستـوى:** السنة الثانية آداب (ليسانس).
- **الأفـــواج:** الفوج السادس (06) والفوج السابع (07) .
- **العام الدراسي:** 2021 / 2022 .

Malek Haddad

L'élève et la leçon

roman

Préface de Mouloud Achour

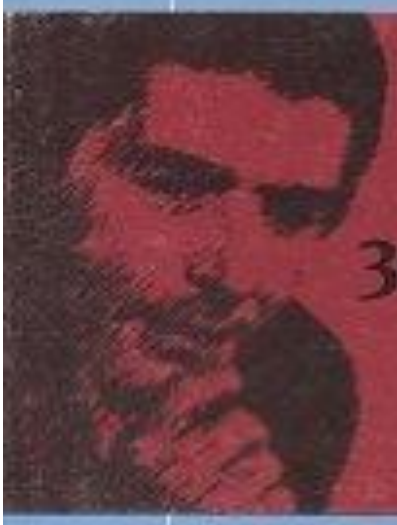

30ème Anniversaire

Média-Plus

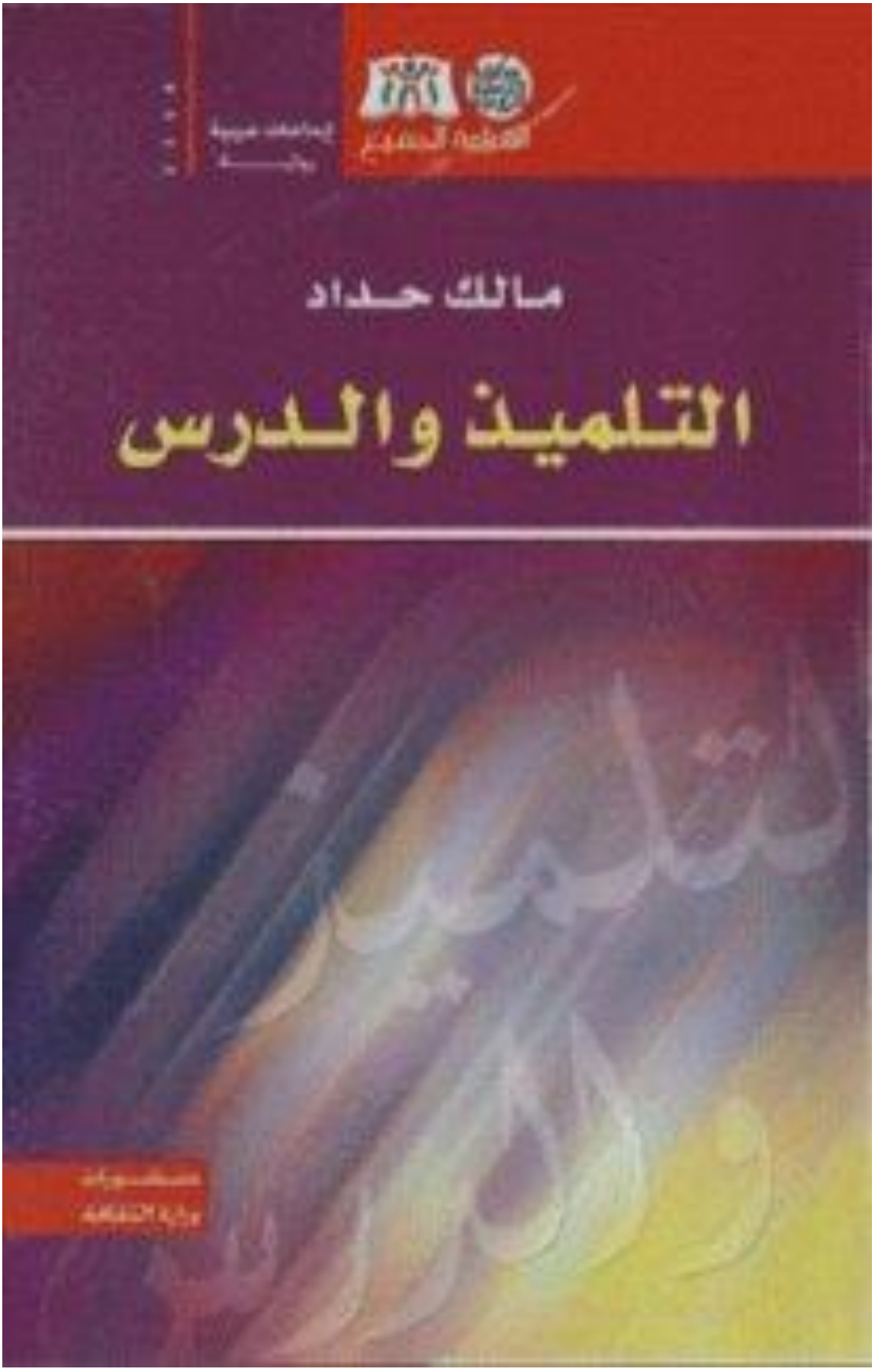
مالك حداد
التلميذ والدرس

مالك حـــداد: (السيرة الذاتية):

- **المولد والنشأة والدراسة والتكوين:**

ولد مالك حداد في صيف 1927 بمدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري لأب أمازيغي جاء إليها قبل سنوات، وفيها عاش طفولته، ثم تلقى تعليمه الأول في قسنطينة، ثم التحق بجامعة " **إكس أون بروفانس بفرنسا** "، وحصل على شهادة في الحقوق.

- **الوظائف والمسؤوليات:**

عاد مباشرة بعد الاستقلال إلى قسنطينة، المدينة التي سكنت نفسه ونصه، وقرر أن يرعى المواهب الأدبية الجديدة من خلال إشرافه على القسم الثقافي ليومية " **النصر**"، ثم مجلة " **آمال** " التي أسست لجيل أدبي جديد، وكان حداد يرى في الأصوات الجديدة عزاءه بعد أن قرر " **الصمت الإبداعي**"، فتحول إلى مدرسة أدبية في الرواية والشعر، ومن المفارقة أن معظم المنخرطين فيها من الكتاب باللغة العربية، ولقد كان توليه الأمانة العامة لاتحاد الكتاب الجزائريين، واضطلاعه بمنصب عال في وزارة الثقافة والإعلام في عهد الرئيس الراحل هواري بومدين، نافذة منحت كثيرا من الشمس للمواهب الجديدة، في مقابل أنها جلب له كثيرا من الانتقاد من المعارضة التي رأت أنه زكى نظاما قامعا للحريات.

- **أشهر مقولاته:**

" **اكتب باللغة الفرنسية لكي أقول للفرنسيين باني لست فرنسيا** "

" **الفرنسية منفاي، لذلك قررت أن أصمت** "

- **وفاتـــــــــه:**

رحل مالك حداد في الذكرى السادسة عشرة لاستقلال الجزائر عام 1978، مخلفا رصيدا أدبيا يحلم بالترجمة، يتكون من أربع روايات هي " **الانطباع الأخير** "، و" **سأهبكِ غزالة** "، و" **أنا المعلم والتلميذ** " و" **رصيف الزهور لا يجيب** "، وديوانين شعريين هما " **الشقاء في خطر** " و" **أسمع وأناديك** "، ودراسة واحدة هي " **الأصفار التي تدور في الفراغ** [1]".

رويـة " التلميذ والدرس " لـ: مالك حداد:

1. ملخص للرواية:

تعد رواية " **التلميذ والدرس** " للكاتب والروائي الجزائري " **مالك حداد** "، هذه الرواية التي صدرت عام 1960 كثورة تحريرية للضمير الإنساني، فجاءت لتعبر عن ألم شعب على لسان شاهد لتلك الحقبة الماضية من الاحتلال وما نتج من أحداث وراءه، فقد جاءت ولادة هذا العمل الأدبي فرنسية في صدورها الأول بعدها أخذت عدة ترجمات.

في الرواية لا توجد معالم واضحة للمكان سوى مدينة صغيرة ناعسة، في فرنسا، قليلة الأصوات، يبقى فيها صوت " **إيدير** " الطبيب مهيمنا، وهو يتحدث عن الحياة التي عاشها وعن ابنته التي تبلغ من العمر اثنين وعشرين سنة، تلك الفتاة تدعى " **فضيلة** " وهي منخرطة في صفوف الثورة الجزائرية، كانت هذه الفتاة حاملا من طالب يدعى " **عمار** "، فأبت ورفضت هذا الحمل، ونجدها تصف هذا الجنين بالعبء والحمل الثقيل وإن كان من دمها، ثم قصدت " **فضيلة** " أباها الطبيب المقيم في المدينة الناعسة منذ عام 1945م ليساعدها على الإجهاض، لكنه يرفض الفكرة ليدخل بعدها في صراع مع نفسه محاولا إيجاد طريقة وحل ليبقي الجنين في أحشائها، باذلا في أمرها جهدا كبيرا بالرغم من أنه يحمل روح جزائرية محافظة، من طينة تتعامل مع الحمل غير الشرعي على أنه فضيحة وعار، ويبقى ذلك الصراع حتى آخر الرواية برفض الأب إنزال الجنين، فيوكل المهمة إلى صديقه " **كوست** " قبل أن يموت، لينجح هذا الأخير في هذه المهمة، بمساعدته لـ:" **لفضيلة** " في الاحتفاظ بجنينها وعدم إنزاله والتخلي عنه، وفي آخر الرواية تنجب " **فضيلة** " الولد وهذا ما يتبين لنا في قول والدها" **تعالى أيها الصغير فضيلة في انتظارنا** " كل هذا بمساعدة والدها والدكتور " **كوست** "[2].

2. تحليل الرواية:

من مهام الأدب تناول واقع الشعب/الأمة، وتبيان المعاناة التي يتعرض لها الوطن والمواطن، العديد من النصوص الأدبية الجزائرية كتبت بالغة الفرنسية، ومع هذا لم يقلل هذا من

تألقها الأدبي أو من مضمونها الفكري، ونحن في المشرق العربي يمكننا القول أننا نعرف عن الأدب الجزائري أكثر مما نعرف عن بقية دول المغرب العربي، وهذا يعود إلى تأخر استقلال الجزائر، وأيضا إلى طبيعة الاحتلال الاستيطاني الذي مارسه المحتل الفرنسي على الجزائر، ومنه فالرواية تتحدث عن الطبيب " **صالح إدير**" وعن ابنته " **فضيلة** " وحبيبها عمر، غالبة السرد جاء على لسان " **صالح إدير** " لكن كان هناك صوت " **لفضيلة** "، وصوت السارد/الروائي، وهذا منح الرواية جمالية تعدد الاصوات، فلم يشعر المتلقي بسيطرة المطلقة ل" **صالح إدير** " على الرواية، وهذا خدم فكرة الحرية، التي حملها الرواية.

الطبيب " **صالح إدير** " يتحدث عن ابنته " **فضيلة** " التي نضجت وأصبحت شابة فيقول:"...**أمن الممكن يا إلهي! إنها باتت تحمل الشهادة الثانوية؟ ... لها نهدان تكورا، والتبرج ليس من ذوقها ... إنها امرأة من غير أن تتبرج ... إنها جميلة أقول لكم**"[3]، هذا التغييرات التي يتناولها " **صالح إدير** " لها علاقة بنظرته لدوره في الحياة، فهو طبيب، لكنه هنا يتحدث عن دوره كأب، لهذا (تفاجأ) بوجود ابنته الناضجة، فحدثنا عهنا وكأنه يراها لأول مرة.

من هنا يأخذنا إلى دوره كأب فيقول: " **أن يد الأب لترى ولو كان حسيرا، إن اليد عندما تلمس عن قرب قريب تصبح الحدس بذاته تلائم حدة نظرها مع اكتشاف بدئ لإرث تعرفه حقا**"[4]، مثل هذا المشاعر/الحكمة تؤكد أنا أمام أب حقيقي، وليس أب بيولوجي فقط، وهذا ما أكده لزميله الدكتور" **كوست** " في قوله:" **أنا تقريبا أبوها، شرعية أبوتي آتيه من حناني وقناعتي** "[5]، وطبعا هذا يستدعي التساؤل: ما دام أبوها طبيبا، فلماذا لجأوا إلى " **كوست** "؟، والجواب هو " **فضيلة** " تريد أن تقوم بعملية اجهاض، وهنا يأتي صوت المرأة في قول " **فضيلة** ":" **في الظروف الحالية لا أستطيع أن احتفظ بهذا الطفل** "[6] ، فنحن أمام أب يحترم ارادة ابته، ولا يتدخل في شونها الخاصة، فعلاقة بابنته ليست علاقة (السيد) بالعبد، بل علاقة أبويه حقيقة بعيدا عن الفكرة الشرقية لدور وتصرف الأب: "**عندما أكون مع ابنتي أصل إلى ذروة التأمل في نفسي، أنا اخترع حناني حتى لا يلم بي البرد، أحيط نفسي بالصمت والليل، إن الشيخ الذي أصبحته لا يحب التفاصيل وما**

التفاصيل إلا مسألة خطأ "[7] من هنا يمكننا الاستنتاج أن لثقافة الفرنسية جعلته أرقى في تعامله مع ابنته، لكنه لم يفقد حنانه (الشرقي)تجاهها وحبه لها.

" **صالح إدير**" يحمل مشاعر الأب الذي يريد الخير لابنته، ورغم أنه يحمل أفكارا عن الحرية، إلا أنها لم تخلصه من كونه أب شرقي، لهذا نجده يمر بحالة من المخاض: "**... أنا ألومه في أنه أنجب طفلا لفاضلة، كما أني لا ألوم ابنتي في حبها وفي حالتها. لكني لن أغفر لهما أبدا تفكيرهما بأن "يرحلا ذلك الطفل" الذي ما دعاه سواهما للمجيء، لن أغفر لهما أنهما تبادرت لهما الفكرة بأن يسألان أنا الأب، أنا الذي بت جدا، أنا الذي كدت أكون حما أن أرحل هذا الطفل**"[8]، بهذه الطريقة يفكر "الطبيب/الأب/الجد" وهذه المشاعر هي من يضفي لمسة جمالية على الرواية، فنحن أمام شخصية تعاني من ممارسة دورها في الحياة، دورها كأب ودورها كطبيب ودورها كإنسان في المجتمع، لهذا نجد " **صالح إدير** " (يعاني) من فكرة الاجهاض، ومن فكرة أن ابنته تطلب منه هو الطبيب القيام بالإجهاض.

لهذا نجد " **صالح إدير** " يعاني، وينظر إلى الحياة بطريقة سوداء في قوله:" **في أوج الخريف، أجدني بلا فرح وبلا مبرر في أن أفرح، وأنا مع ذلك أرتاب بالسعادة من البشر، أنا لا أحسدهم ولكني أرتاب بهم، أنا قلق منهم، أحس دائما أن تفاؤلهم يجاور الجهل أو الكفر**"[9]، لقد وصل " **صالح إدير** " إلى النهاية، وكأي شرقي نجده يستحضر المكان ويستعيده، المكان الذي ولد فيه ونشأ: " **أنا عجوز، جد عجوز وأحب أولا جرمين، إن حبي هو نفي للزمن ... جرمين تعود إلي دائما، ليست الحرية شيئا بلا حبي**"[10]، وهذا اللجوء للمكان يكاد أن يكون عاما عند كل الأدباء الشرقيين، فهم يتناول بحميمية، وحتى لو كان قرية نائية، وكأنهم به يريدون التشبث بالحياة، بالعودة إلى الحياة من جديد، ألم تكن طفولتهم به؟.

- **<u>فرنسا المحتلة</u>:**

من جمالية الأدب انه يتطرق إلى التاريخ/إلى السياسة بطريقة الاشارة/الإيحاء، وليس من خلال (بيان سياسي)، السارد يحدثنا عن دور فرنسا القمعي في الجزائر بهذه الطريقة:" **أنا لا أعرف أحدا أبدا بلغ لعشرين في الجزائر**"[11] ، وهذه (اشارة) إلى عمليات القتل التي مارستها فرنسا

بحق الجزائريين، فلم تتوانى عن قتل كل من يقاومها/يعارضها، واعتقد أن هذه الاشارة كافية ووافية لإيصال فكرة الدموية التي مارسها الاحتلال الاستيطاني الفرنسي وتوحشه في الجزائر.

كما أن السارد يحدثنا عن عنصرية الفرنسيين، والطريقة الدونية التي كانوا ينظرون/يعاملون بها الطبيب " **صالح إدير** ":" كان المرضى الأوروبيون لا يأتون إلى عيادتي، حتى عندما يأخذ زميلي عطلته السنوية، كانوا يفضلون أن يذهبوا إلى المدينة فيقطعون ليلا أو نهارا مائة كيلومتر بدلا أن يتقبلوا عناية طبيب من الوطنيين "[12].

- **<u>الجزائري</u>:**

رد على الاحتلال ومعاملته القاسية، والتي حول حياتهم لجحيم حقيقي في قوله:" **إنه لعهر أن يكون الإنسان سعيدا إذا كان جزائريا، وبتعبير أبسط إذا كان له قلب، أنا أعرف جزائريين سعداء، ولكن هؤلاء فقدوا الذاكرة** "[13]، فحجم القمع والقتل والقهر جعل الجزائري يرى كل ما هو فرنسي عدو، فقد قضى على الحياة ولم يبق فيها نسمة حياة .

من هنا وجد الجزائري ضرورة محاربة فرنسا ووجوب مقاومتها، فكان لا بد أن يُنظر إلى المتهاونين مع الاحتلال الفرنسي نظرة احتقار وازدراء:" **أنظري إلى الحمير كيف تبتسم، لقد تآكل وبرها وتقرحت جلودها ولكنها تبتسم ملء خياشيمها. سعيدة بنسبها الحائر، ..أنها سعيدة حتى عندما تنهق بالفرنسية** "[14]، بهذا الطريقة نُظر إلى من يعتبر أن الحياة في ظل الاحتلال عادية/سوية، ولكل من افتخر بالغة الفرنسية التي فرضت عليه.

ولم يقتصر النقد والذم على العامة من الناس فحسب، بل طال ايضا أشباه المثقفين، الذين يتغنون بأسماء الادباء الفرنسيين ولا يعرفون شيئا عن أدباءهم: " **يعرف مارتان دي غار أفضل مما يعرف محمد ديب، وذاكرة تحفظ أبيات ألبار خيرا من أبيات كاتب ياسين، وعقل تدارس برغسون أكثر من الشيخ ابن باديس** "[15]، الدعوة لثقافة وطنية فرضتها سلوك الاحتلال الاستيطاني، الذي عمل على محو وإلغاء كل ما هو جزائري، فكانت الجزائري يرى في كل ما هو فرنسي احتلال ويخدم المحتل[16].

❖ **من أجل التوسع أكثر في محتوى الدرس، يرجى العودة إلى المراجع التالية:**

(1): **ينظر**: عبد الرزاق بوكبة، " **مالك حداد يخرج من منفاه** "، موقع الجزيرة نت، 2024/01/05، https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2014/1/5

(2): عبد الرزاق بوكبة، " **التلميذ والدرس: مالك حداد مفككا لغز الأبوة** "، موقع **العربي الجديد**، 2014/09/25، https://www.alaraby.co.uk/

(3): مالك حداد، " **التلميذ والدرس** "، تر: سامي الجندي، منشورات وزارة الثقافة، الأردن، 2008، ص 24.

(4): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5): المرجع نفسه، ص 25.

(6): المرجع نفسه، ص 31.

(7): المرجع نفسه، ص ص 69، 70.

(8): المرجع نفسه، ص 79.

(9): المرجع نفسه، ص 128.

(10): المرجع نفسه، ص 132.

(11): المرجع نفسه، ص 41.

(12): المرجع نفسه، ص 102.

(13): المرجع نفسه، ص 53.

(14): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(15): المرجع نفسه، ص 83.

(16): **ينظر**: رائد الحواري، " **فرنسا والجزائر في رواية** " **التلميذ والدرس** " **مالك حداد** "، موقع دنيا الوطن الالكتروني، 2020/08/30، https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2020/08/30/531193.html